شخصيات من التراث الشعبي العراقي

رفعت مرهون الصفار

١-شاكر جابر البغدادي (١٩٢٩ -٢٠٠٧)مؤرخ الكرادة

ولد في بغداد واكمل الدراسة الابتدائية و المتوسطة في الكرادة الشرقية واضطر لترك الدراسة لاسباب سياسية سنة ١٩٤٣ .
عين موظفا في مصرف الرافدين ١٩٤٦ ودخل الثانوية الجعفرية الاهلية المسائية واكمل الثانوية عام ١٩٥٠ ولم يتمكن من تكملة دراسته الاكاديمية لنفس السبب فثقف نفسه بنفسه .
كتب في الفولكلور والرواية والقصة والتاريخ والفكر الديني والنسب والادب والشعر .
نشر بحوثه ومقالاته واشعاره في الصحف العراقية .
كتب عنه الدكتور داود سلوم والدكتور علي جواد الطاهر وباسم عبد الحميد حمودي والمحامي ناجي جواد ومحمد الجزائري والدكتور عمر الطالب والدكتور محسن جاسم الموسوي والدكتور شجاع العاني والدكتور طالب الخفاجي .
من كتبه في الفولكلور :-
١-من تاريخ الكرادة الشرقية
٢-محلة العوينة
٣-النسب وماهيته
٤-نفحة من اريج بغداد
٥-جامع براثا
٦-الاعلام في الكرادة-دليل
٧-دليل الكرادة الشرقية

٢-عبد الرحمن المفتي (١٩٢١ -١٩٥٠)

ولد في السليمانية. اكمل الاعدادية في كركوك ودخل الكلية العسكرية وتخرج فيها عام ,١٩٤١ عمل في الجيش الى ان وصل الى رتبة عميد .
بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عين قائمقاما لقضاء عقرة ثم اعيد الى الجيش ثانية حتى تقاعده .
مارس الكتابة الادبية منذ صباه وهو في عمر الخامسة عشرة في صحيفة (زين-الحياة) بمقال تحت عنوان (منظر ما بعد الظهر في قرية جنكيان)
من مخطوطاته :-
١-الخطبة
٢-هدية زواج لعروس السفر
٣-العهد والحياة
ساعد اتحاد ادباء الكرد عند تشكيله لاول مرة في بداية السبعينيات من القرن الماضي بتقديم مكتبه كمقر موقف لهم .

٣- فاضل شورو (١٩٥١ -) فنان فولكلوري

ولد في كويسنجق نال شهادة البكلوريوس في اللغة الانكليزية من كلية الاداب / جامعة بغداد . بعد تخرجه عين في التعليم الا انه اتجه الى الفن الفولكلوري الشعبي . فقد اقيم له معرض فولكلوري شخصي عام ١٩٨٧ في اعدادية كاوة للبنين في دهوك تضمن المعرض نماذج تراثية جميلة وجسد مفردات متنوعة من الآلات والادوات التي تستعمل في الريف او المدينة .
قسم المعرض على الابواب التالية :-
١-الادوات والآلات التي تستخدم من قبل الفلاح (كالمنجل والمحراث والغربال وغيرها)
٢- لعب الاطفال
٣- الآلات والادوات المنزلية المستخدمة في الطهي والتقطيع والمستعملة ايضا في تناول المشروبات والاواني الفخارية .
٤- الادوات الحرفية التي تستعمل في الصناعة والحرف الشعبية (كالمشط والجومة وغيرها)
٥- الآلات التي تجسد حاجة الفلاح لتسخير الماء ووسائل الري كالناعور .
٦- الحلي والمجوهرات القديمة
٧- الآلات الموسيقية المستعملة في الاحتفالات والافراح الشعبية كالدبكات والختان والمواليد مثل (الناي-الطبل-الزرنا).

٤- الدكتور علي النشمي (١٩٥٦-)

ولد في بغداد وانهى الاعدادية فيها سنة ١٩٧٦ ثم دخل كلية الآداب قسم التاريخ وتخرج فيها عام ١٩٨٠
ونال الماجستير من مصر والدكتوراه من معهد التاريخ في بغداد.
بعد حصوله على الدكتوراه سافر الى ليبيا ودرس هناك في جامعة ناصر وكذلك في تونس في جامع منوبة.
بعد عودته الى العراق عين تدريسياً في الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب.
له بالفضائية العراقية برنامج تلفزيوني بعنوان (بغداد القديمة) ٣٦٥ حلقة .
كان لديه عمود تراثي يومي في جريدة الاتحاد اسمه نشميات . وعمود في جريدة الصباح في التراث.
له ما يقارب الـ ٧٠ بحثا وكتابا في التراث الشعبي منها:
١-المشرق في تاريخ العراق القديم .
٢-شذرات من مهد الحضارات.
٣-الموسيقى الشعبية في العالم.
٤-عراقيات.
٥-الرسول
٦-المرأة
٧-الأسرة
٨-تجليات الدكتور علي النشمي
٩-المخفي في التاريخ الاوروبي

٥- الدكتور فؤاد حمه خورشيد (١٩٤٣-)

ولد في بغداد وبعد نيله الشهادة الاعدادية دخل كلية الآداب/قسم الجغرافية البشرية وأنهى فيها ١٩٦٧,
ونال شهادة الماجستير والدكتوراه من جامعة بغداد ايضا.
عمل في التدريس ومازال استاذا في كلية الآداب / جامعة بغداد ومديرعام دار النشر باللغة الكردية.
ناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه.
اول مقال له كان عام ١٩٦٧ بعنوان (نافذة على اصل الاكراد)
من كتبه المطبوعة: ١- الاكراد دراسة علمية موجزة
٢-اللغة الكردية والتوزيع الجغرافي للهجاتها. وقد ترجم الى اللغات الانكليزية والسويدية والايطاليةوالكردية.
٣- الكرد في المصادر القديمة
٤- اصل الكرد.
نشر بحوثه ومقالاته في الصحف العراقية والعربية والكردية.

٦- عثمان الحاج علي (١٩٤٠-)

ولد في مدينة السليمانية وتخرج في دار المعلمين في السليمانية. مارس التعليم بتدريس فنون الموسيقى والاناشيد.
بدأ بنشر نتاجه الأدبي عام ١٩٥٦ في مجلة (هه تاو –الشمس) . ومجلة (زين –الحياة).
جمع الاغاني الشعبية في العراق واعطاها للموسيقار العالمي (يوركان بلتيز) الذي اخذها معه الى الدانمارك حيث جمع الاغاني الشعبية لشعوب الشرق.
من مطبوعاته :
١- الف حكمة وحكمة للشعوب المختلفة
٢- موسيقا مقام كرد
٣- الاغاني والمقامات
٤- الموسيقا والمقامات الكردية
٥- هدية النوروز في النثر الكردي
٦- خزانة الاغنية الكردية

٧- كريم شارزا (١٩٢٨-) شاعر وكاتب وباحث

ولد في مدينة كويسنجق وأنهى دراسته في دار المعلمين الابتدائية عام ١٩٥٠ عمل في التعليم حتى تقاعده انتخب سكرتير الاتحاد الكتاب الكرد في اربيل ثم رئيسا له.
نشر وما زال ينشر مقالاته الفلوكلورية في الصحف والمجلات العراقية .
له ١٩ كتابا بين التراث والادب واللغة منها :
١-الامثال والحكم في الشعر الكردي.
٢-الاسطورة في الشعر الكردي
٣-الامثال والحكم المقارنة (تحقيق وتقديم)
٤-سيوه الفنان الكردي (تحقيق وتقديم)
٥-الظواهر المتضادة في الحكم والامثال الكردية
٦-كويسنجق واعلامها من الشعراء

٨-احمد الخليل (١٩٢٨-١٩٩٨) فنان الشعب

ولد في بغداد وهو فنان وملحن ومطرب وعازف عود سجل حضورا متميزا في ساحة الغناء والموسيقا يتمتع بحيوية الصوت ورشاقته وروحية خاصة ونكهة مشدودة بين الجبل وضفاف الهور وخير دليل على ذلك اغنيته المشهورة(من تهب انسام عذبه من الشمال على اطراف الهور تتفتح كلوب)
كان عازف عود جيد ومطرباً. يعتبر الكاميرا رفيقة حميمة لعوده وقد سجل بكاميرته ووثق آثار ومعالم العراق وتراثه ولديه مجموعة كبيرة من هذه الصور.

٩- الحاج توفيق بيره مرد (١٨٦٧-١٩٥٠) كاتب واديب

ولد في السليمانية وهو من عائلة آل المصرف .امتلك عبقرية صناعة الكلمة لذا اعتمد في تحرير رسالة جواب من السلطان العثماني عبد الحميد الى ناصر الدين شاه ايران.
عين عام ١٨٩٩ عضواً في المجلس العالي بالاستانة . دخل مدرسة الحقوق ونال شهادتها زاول المحاماة والصحافة. ادار مجلة (الكرد) التي كان يرأسها الشيخ عبد القادر الشمزيني وفي عام ١٩٠٩ عين قائممقاميا ثم متصرفا. اشرف على اصدار جريدة (زيان- الحياة) وظف التراث الكردي والفولكلور نظماً وحول الحكم والامثال الكردية الى الشعر. حيث نشرها على صفحات جريدة (زين) وقد تم جمعها اخيرا في ثلاثة اجزاء وقد تم طبعها تحت عنوان (اقوال بيره مرد المأثورة).

١٠- شكور مصطفى (١٩٢٨- ٢٠٠٤)

ولد في ناحية قره حسن محافظة كركوك أنهى دراسته في كلية الشريعة عام ١٩٥٠ .
عمل في التدريس ثم نقل الى رئيس ملاحظين في المديرية العامة للدراسة الكردية في وزارة شؤون الشمال وباحثا علميا ومدير قسم التربية في المديرية نفسها . ثم اعيد للتدريس مترجماً اول في المجمع العلمي الكردي وامينا عاماً نفس المجمع ثم خبيرا في المجمع العلمي العراقي .
يجيد اللغات العربية والتركية والفارسية والاذرية والكردية .
من اعماله الكتابية :-
١- ترجمة اسطورة (جبل اكري) من التركية الى الكردية للكاتب الكردي بشار كمال .
٢- ترجمة اسطورة (كويرا وغلو) من التركية الى الكردية للكاتب بشار كمال .
٣-ترجمة مجموعة قصص فولكلورية للاطفال .
٤-اعادة عشرات المواد الفولكلورية من الحروف السلامية باللهجة الكرمانية الى الحروف الكردية المتداوله في العراق وشرح مفرداتها القاموسية بالسورانية الكردية.
٥-كتابة عدد من الدراسات في التراث والادب.
٦- ترجم مع محمد عبد الكريم المدرس من التركية الى العربية (الامارة البابانية) لمؤلفه حسين ناظم.

١١- الدكتور كاوس قفطان (١٩٣٣-)

ولد في السليمانية وبعد ان اكمل الدراسة الاعدادية فيها دخل دار المعلمين العاليه (كلية التربية الان) فرع الاجتماع –الجغرافية والاقتصاد السياسي / جامعة بغداد وأنهى دراسته فيها عام ١٩٥٧ ثم نال شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة لننكراد في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٦٢ .
عمل باحثاً علمياً في معهد الدراسات الشرقية التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية وبعد عودته الى العراق عين تدريسيا في كلية الاداب / قسم اللغة الكردية / جامعة بغداد ثم خبيراً في المجمع العلمي العراقي / الهيئة الكردية فاستاذا في جامعة السليمانية .
له مؤلفات وتحقيقات وترجمة في موضوعات عدة منها :-
١-تاريخ الشعب الكردي (طبع وتحقيق) لمؤلفه صالح قفطان
٢-تقديم وطبع مذكرات احمد تقي
٣-اساطير شعوب الشرق (ترجمة من اللغة الروسية)
٤-اكراد الدولة العثمانية تأليف جليلي جليل
٥-مجموعة اساطير الشعب الاوزبكي

١٢-حامد فرج (١٩١١-١٩٩٥)

ولد في السليمانية واكمل فيها دراسته. عين في التعليم بالمدارس الابتدائية ثم التحق بدورة الضباط حيث تخرج برتبة ضابط شرطة (معاون شرطة) وتدرج في منصبه حتى تقاعده. مارس الكتابة منذ ان كان معلماً.
ومن كتبه المطبوعة :
١-حاجي بابا الاصفهاني ترجمة من الانكليزية
٢-كلكامش ترجمة من العربية الى الكردية
٣- الف باء الكردية

١٣- الدكتور كمال عبد الكريم فؤاد (١٩٣٢ -)

ولد في مدينة السليمانية وبعد اكماله الدراسة الاعدادية دخل كلية الهندسة / بغداد واثناء دراسته اعتقل وفصل لأسباب سياسيةعام ١٩٥٣ . وبعد اطلاق سراحه سافر الى الخارج لاكمال الدراسة في ألمانيا واثناء دراسته انتخب رئيساً لجمعية الطلبة الكرد في اوروبا.. بعد اكماله الدراسة الجامعية عاد الى العراق وعين مدرساً في كلية الآداب جامعة بغداد ثم رئيسا لقسم الدراسات الكردية بجامعة السليمانية وفي عام ١٩٩٢ انتخب عضوا في برلمان اقليم كردستان .
وفي سنة ١٩٩٧ اصبح نائباً لرئيس الوزراء في ادارة كردستان ثم رئيساً دورياً لبرلمان كردستان
من بحوثه ومؤلفاته :-
١-الادب الفولكلوري الكردي باللغة الالمانية
٢-اللغات الهندو اورثية
٣-اللغات الايرانية
٤-المخطوطات
٥-حول اصول اللغة الكردية

١٤ -محمد حسن الحسني -

ولد في بغداد ١٩٥٧ بكلوريوس اللغة العربيةعام ١٩٧١ .
مارس التدريس ثم انتقل الى وزارة المعارف (التربية) معاوناً لمدير الشؤون الادارية والمالية في الجهاز المركزي للحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الالزامي .
بعد احالته على التقاعد تفرغ للادب والبحث التراثي .
شارك في المنتديا ت الثقافية محاضراً ومناقشاً ومستمعاً.
نشر العديد من مقالاته في الصحف والمجلات العراقية.
من كتبه المعدة للطبع :
١- القديم من منازل الاجداد في رصافة بغداد
٢- الايام والشهور والسنون ماهيتها ودلالاتها
٤- الساعات التراثية في العراق
٥-الازياء البغدادية في القرنين التاسع عشر والعشرين
٦-بحث تحليلي عن حياة الابل واثرها في الحياة العامة
٧-شعراء عرفتهم الكوفة
٨-بعض وسائل اللهو والتسلية في القرن العشرين
٩-السينمات العراقية بداياتها وتأثيرها
١٠-مقاهي حسين قسام الشاعر الساخر
١١-بغداد وأثرها في الحياة البغدادية

حكاية شعبية

طالبة العينين

قاسم مطر التميمي

الدنيا-كما قيل-لا تهب المرء كلّ شيء . وقد تأخذ ما تهب وتترك في النفس غصةً ولوعة ؛ فإن هي أدبرت كانت على المرءِ حسرةً ، وإن هي أقبلت كانت كثيرة همومها . فهذا الشيخ ماهود الغضبان كان له حظ وافر من دنياه . فهو شيخ عشيرته وسيد قومه والمقدم بين أخوته وأبناء عمومته . له البيت الفاخر العامر بالنساءِ والبنين والبنات . وفي حوزته الخيل المسومة والأنعام . وفي الأرجاء الواسعة تمتد مزارعه وبساتينه . أما مضيفه-وبه يفتخر-فلا يكاد يخلو يوماً من الضيوف الذين يغدون عليه من القرية عند أصيل كل يوم أو المسافرين الذين يحطون رحالهم في رحابه ، يحتسون القهوة العربية المُرة التي يحسن خادمه سرحان إعدادها ممزوجة بحبات الهيل التي تضفي عليها نكهةً طيبة ، ومذاقاً حسناً . وفي مضيفه ، وهو منتدى قومه ، يجتمع أفراد العشيرة ، يتحدثون ويتحاورون في شتى أمور حياتهم ؛ المفرح منها والمحزن . وفي مضيفه أيضاً تُحل المشاكل والمنازعات التي تطرأ بين أبناء عشيرته ، اليسير منها والعسير . فإذا تأزمت مشكلة وتعسّر حلها بين طرفين متنازعين ، فليس أمامهما إلا التسليم بحكم (الفريضه) ، يتعاهدون على التسليم بحكمه قبلَ استدعائه وعرض المشكلة عليه . وليس لهذه المهمة الصعبة إلا السيد صالح الصليبوخ (وهو من السادة الأشراف) وله مقام جليل ومنزلة رفيعة عند الناس القاطنين في تلك الأصقاع . والمشاكل التي تحصل عندهم عادةً ليست شائكة مستعصية بل بسيطة بساطة الحياة التي يعيشونها . اللهم إلا المشكلة التي خلقها القدر للشيخ ماهود الغضبان . فهو يراها كما يراها الآخرون من حوله مشكلة يتعذر حلّها لأنّها ببساطة متناهية خارج نطاق القدرة البشرية . وما دامت كذلك- وهي كذلك فعلاً-فإنّ النظر فيها وعقد الأمل على حلّها محض عبث لا طائل منه. ولكنّها مع ذلك كلّه تمثل غمامة حزنٍ سوداء في حياة الشيخ ماهود ، كلّما ظنّ أنّه نسيها تنتصب قائمة أمام عينيه ، بل وأمام الجمع الكبير الذي يزدحم به مضيفه الواسع الرحيب ؛ إنّها (زهرة) ابنته الجميلة ، الباذخة الجمال ، ابنة الثامنة عشرة ربيعاً . تقتحم المضيف ، مرتديةً أجمل ثيابها وتتزين بما لديها من (الخشل) ، وهو كثير تمتلئ به (سحارتُها) ؛ البتوت والمعاضد والملاوي والأسورة والتراجي (الأقراط) والخزامة والوردة والعران والحجل والخلخال والقلائد والعقود والزرار الذي يصنع كعين الشمس تضعه المرأة على جيدها وتربطه بشريط من قماش الى عنقها .
تدخل زهرة كلما أحست أن ديوان أبيها قد امتلأ بالزائرين والوافدين ، تدخل حاسرة الرأس كاشفة عن ضفيرتين سوداوتين طويلتين، سافرة لا تحجب عن الناظرين مفاتن جسد غض ممشوق كغصن البان؛ صدر عامر بثديين ناهدين نافرين تكاد حلمتاهما أن تخرقا قماش الثوب الشفيف وخصرٌ ضامر وردفٌ مكتنز وطلعة بهية . مخلوقة بلغت حدَّ الكمال لولا عينيها الواسعتين السوداويتين اللتين انطفأ نورهما قبل أن تولد فجاءت الى الدنيا كمهاء عمياء ، تسمع ولا ترى. ذكيةً فطنةً سريعة الحفظ ، أولاها أبوها جلّ عنايته وحباها برعايته وغمرها بحبه وحنانه وأدخلها الكتاتيب فحفظت القرآن الكريم وأجادت حفظه وتلاوته حتى بزت أقرانها. وما أن شبّت عن الطوق واكتملت أنوثتها حتى أعتراها مس من جنون. وهو جنون ليس كغيره من الجنون ؛ إذ تراها في أوقاتها كلها وديعة مؤدبة محتشمة لا تتفوه بالهراء ولا تميل الى الدعابة والمزاح . وهي بالرغم من صغر سنها عليها هالة من وقار. غير أنّها تخرج عن طورها عندما يتناها الى سمعها أن ديوان أبيها قد أحتشد بالزائرين والوافدين فتبادر من فورها الى ارتداء أجمل ثيابها وأغلى حليها ، وتخرج على الناس سافرة متبرجة ، تمسك بعصاً أكثر طولاً من قامتها وتقتحم مجلس الرجال على هذا النحو غير المألوف فيبادر سرحان القهوجي الى الإمساك بطرف العصا ليقودها الى وسط الديوان ويجعلها وجهاً لوجه أمام أبيها الذي يتصدر المجلس قاعداً على (الشداد) ومتكئاً على الوسائد الوثيرة. وتنحبس الأنفاس ويسود المجلس صمت وترقب ، يعقبه صوت زهرة المرتفع : " يا بووي (يا أبتي)! " . ويرد عليها أبوها بنبرة حزينة: " عونج يا بنيتي (أعانك الله يا بنيتي) ! " .
-: " أريد عيون يابووي ! " .
ويرد الشيخ بصوت واهن كأنّه يحدث نفسه : " لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ليت العيون تباع وتشترى ، إذن لوهبت مالي كله ثمناً لما تطلبين ! " .
وتستدير زهرة عائدة من حيث أتت من دون أن تنتظر من أبيها جواباً . حسبها أن تطلب فقط . وقد تكرر هذا المشهد عشرات المرات حتى اقترح على الرجل البعض من أهل بيته أن يحبس زهرة في غرفتها ليحول بينها وبين الدخول الى الديوان لما يسببه مظهرها (الفاضح) من حرج للشيخ ولرجال أسرته أيضاً. ولكن الشيخ ماهود عزّ عليه أن يؤذي زهرة ويزيد فوق محنتها محنةً أخرى فتركها على سجيتها تمارس جنونها بعد أن فقد به اليأس عن علاجها. في الأيام الأولى قيل له اعرضها على الملا فرهود الذي يعلّم الصبيان قراءة القرآن. إنّه رجل مبارك لا بدّ أن يجد علاجاً شافياً لجنونها ولكن الرجل المبارك هذا لم يحالفه الحظ برغم دماء الديكة السبعة التي أوصى بذبحها عند مغيب الشمس في سبعة أيام متتاليات. توضع دماؤها في إناءٍ لتدلك به فروة رأس الفتاة المجنونة.
وعرضت الفتاة مرّةً أخرى على الملاية ناهية فبادرت الى وضع قدرٍ صغير مليء بالماء فوق رأسها وأذابت في مقلاة قطعة من الرصاص سكبتها في الماء فاتخذ الرصاص شكلاً غريباً ومشوشاً نظرت إليه الملاية ملياً ثم قالت: " إن ابنتكم هذه مسحور لها من أعداء لكم يبدون المودة ويكتمون البغضاء وأنّ امرأة ماكرة تقف وراء هذا العمل الخبيث. " ووعدتهم بإبطال هذا السحر إذا ما أحضروا لها عظم الهدهد و (فص) سليماني وسبع خرزات زرق .
لم يشعر الشيخ ماهود وزوجته بالملل وهما يعرضان ابنتهما-في هذه القرية أو تلك- على كل دجّال أو مشعوذ حتى تبين لهما بعد حين أنهما يسعيان وراء سراب لا طائل من ورائه . وطرق قلبيهما اليأس . وصارت زهرة تمثل غمامة حزن تكدر صفو سماء حياتهما الوادعة . فكان الشيخ ماهود لا يفعل شيئاً عندما تنتصب زهرة أمامه واقفة في منتصف الديوان طالبةً منه أن يمنحها العينين ، سوى أن يضرب كفّاً بكف ويتمتم في سره قائلاً: " لا حول ولا قوة إلا بالله " . يطرق ببصره الى الأرض محاولاً أن يحبس دموعه لكي لا يكتشف الآخرون نقطة ضعفه .
وتمر الأيام وتتعاقب الفصول وينزل السيد صالح الصليبوخ ضيفاً مكرماً في مضيف الشيخ ماهود . ويغص الديوان بالزائرين والوافدين وينهض القهوجي سرحان ماسكاً دلّة القهوة بيده اليسرى وفناجينها بيده اليمنى يصبّ له الفنجان تلو الفنجان والسيد صالح يحتسيها تباعاً حتى إذا هزّ آخر فنجان احتساه ، انتقل سرحان الى من يجاوره في المجلس وهكذا حتى يأتي عليهم جميعاً . وفجأة خيم الصمت على المجلس وتسمرت الأنظار بالقامة البهية التي توسطت الديوان .
سأل السيد صالح مضيّفه الشيخ ماهود : " من هذه الفتاة يا شيخ ماهود ؟ " .
. : " إنّها ابنتي يا مولانا .. إنّها مجنونة . جنونها ليس متصلاً يا مولانا فهي عاقلة طول الوقت إلا أنّها تجن أو يعتريها مس من الجنون ساعة يمتلئ المضيف بالناس ! " .
وصاحت زهرة تنادي أباها : " يابووي ! "
-: " عونج يا بنتي ! "
-: " أريد عيون يابووي ! "
ويضرب الشيخ ماهود كعادته كفّاً بكف ثمّ يحوقل وترتسم على وجهه علامات الأسى والحزن . غير أنّه ذُهل عندما سأله السيد صالح: " وماذا يمنعك من أن تمنحها العيون يا شيخ ماهود ؟! "
-:" ماذا تقول يا مولانا ؟ "
-: " أقول ما سمعت .. ابنتك ليست مجنونة يا شيخ ماهود . إنّها تطلب منك فقط أن تزوجها من رجل كفء يُكرمها ويُسعدها لتنجب منه صبياناً أو صبايا ترى بعيونهم وبعيونهم تلتمس طريقها " .
. : " ولكن .. ولكن لا يمكن أن يكون كلامك هذا صحيحاً يا مولانا . لماذا لم تسر برغبتها هذه إليّ وأنا القريب منها والمُشفق عليها والحريص على سعادتها . وهب أنّها تتحرج من الحديث معي حياء وخجلاً ، فما بالها لا تسر أمّها برغبتها هذه وتريحني من التخبط يميناً وشمالاً لعرضها على كل مشعوذ ودجال !! "
-: " ومتى كانت النساء عندنا يجرؤنَ على التفوه بمثل هذا الحديث ؟! "
-: " والله لا أدري ماذا أقول يا مولانا ! "
-: " لا تقل شيئاً لقد مضى زمن القول ، ما عليك الآن إلا أن تفعل شيئاً وعلى الفور ! "
-: " نعم . لا بدّ أن أفعل شيئاً ".
وأوعز الى ابنه البكر (مرزوق) بعد تردد قصير أن يجمع أبناء عمومته في الدار ، فاجتمعوا في الحال فقام فيهم خطيباً وخاطباً . قال : " إنّ ابنة عمكم (زهرة) ليست مجنونة كما كنا نظن . وأريدها زوجة لأحدكم . وأنا من يدفع مهرها . فهل فيكم من راغب ؟ "
قال أوسطهم :" انا يا عم . ولا يرضيني أن تدفع عني مهرها . أنا من يدفع لها المهر . ولك عليّ إكرامها وإسعادها ! " . وتزوجت زهرة . وكان السيد صالح الصليبوخ حاضراً فعقد قرانها على ابن عمها .
وتمر السنين مسرعة وتنجب زهرة البنين والبنات وينسى الناس حديث جنونها ويحل السيد صالح الصليبوخ ثانية ضيفاً على الشيخ ماهود الغضبان . ويحدث ما لا يتوقعه المرء ؛ ها هي زهرة ثانية تقتحم الديوان وهو عامر بالناس ، ترتدي ثياباً محتشمة . امرأة مكتملة النضج عليها هالة من الوقار . تضع يدها اليمنى على كتف صبي في السابعة من عمره . وسكت من في المجلس كسالف العهد ، وصار الرجال يتطلعون الى قامتها الشامخة ويصيخون السمع الى ما ستقول وهي ساكتة تقضم بشفتيها تارة وتمسح العرق عن جبينها تارة أخرى . ثم قالت بصوت خجول : " يابووي .. يابووي !! "
ولما لم تسمع صوت أبيها ، انحنت على ولدها تسأله : " هل جدك موجود يا ولدي ؟ "
قال : " نعم . إنّه ينظر إليك بذهول ! "
عندئذ رفعت صوتها كسالف عهدها : " يابووي .. مشكور يابووي . مشكور ! "
وفي هذه المرّة لم يستطع الشيخ ماهود أن يحبس دموعه فأجهش بالبكاء .

حكايات من ذاكرة الريف

حقد امرأة

حسين الهلالي

في الصحراء الحب العذري والكراهية حتى التطرف والكرم حتى المبالغة والحقد والبغضاء ،وحزام بن رمال مستوعب كل مايدور في الصحراء تقريباً ، يحب ابنة عمه وسمية مات ابوها فانتقلت وامها الى بيت عمها وبقيت تحت رعاية عمها وابن عمها حزام
كانت امه تلح عليه بالزواج منها وجاء اليوم المناسب وتزوج حزام ابنة عمه وبدأت الغيرة تأكل قلب امه وبدأت تثير المشاكل لزوجة ابنها ووسمية تتحمل على مرأى ومسمع من زوجها ، وكل يوم تفكر بوسيلة جديدة للانتقام منها وفي ذات ليلة فكرت بوسيلة انتقام منها حيث ذهبت عند الفجر الى الراعي بأن ودعته ان يتمارض في هذا اليوم لان وسمية راغبة بأن تسرح بالأغنام بدلاً عنه، واستغلت غياب زوجها في المدينة وتم لها ما ارادت واخبرت وسمية بأخذ الأغنام الى المرعى بدلاً من الراعي المريض ، لم تعترض وفي حينها لبست ملابس العمل وشدت وسطها بعباءة ولفت على ساقها قطع قماش بيض ووضعت خنجرها في وسطها وأمسكت العصا وخرجت بالأغنام رافقتها صديقتها راضية في هذه الرحلة ، وصلتا الى المرعى في الصباح الباكر ولم يصل احد غيرهما الى هذا المكان ، وبينما هما تلهوان اذ هاجمهما اللصوص فاستطاعت راضية ان تهرب وتختفي تحت العوسج اما وسمية فبدأت بمعركة مع اثنين من اللصوص والثالث بدأ يجمع الأغنام واستطاعت هي ان تجرح احدهم بكتفه بخنجرها والثاني
ضربها بعصاه على رأسها ضربة اسقطتها على الأرض وفروا بالأغنام وبقيت هي جريحة ، اما راضية فخرجت من تحت العوسج وشاهدت وسمية منطرحة على الأرض فتصورتها ماتت فأسرعت تخبر اهلها وفي هذه الأثناء جاء شيخ شاب من اهل الجزيرة وخلفه اثنان من مرافقيه وعندما شاهد الفتاة تئن نزل من فرسه واشار الى مرافقيه ان يحملوها ويعودون بها الى ديارهم ، اوصى الشيخ ثار امه بهذه الفتاة عندما وصلوا الى (الفريج) ان تبذل كل جهودها لأنقاذها، وبدأت الأم تعالج الضربة في رأسها وعلى طول الفترة تماثلت الفتاة الى الشفاء ففاتحتها بالزواج من ابنها امتنعت في البداية ولكن الأم قالت لها
(هذا شي مامنه خلاص انت لزوم اتصيرين زوجة للشيخ ثار ، هو اللي انقذ حياتك ولو عافك اكلتك الذيابه)
ردت عليها وسمية (لكن الشيخ عنده زوجتان!!)
(وشنهو المانع من يتزوج ثالثة ؟)
(يخالة انا بنت متزوجه ابن عمي واحبه ويحبني وهو الحين هو يدور عليه انتوا سويتوا جميل ودوني لهلي)
(الشيخ حبج ويريدك مره له ويعتبر هذا جسب صحرى)
(وشيمة الرجال والكرم ونخوة الزلم للحرمه)
(انا ولدي وعرفه انجان جا حد من ديرتج مايكصر يعطيج له ، ونجان ماجه انت نصيبج الزواج منو)
(زين انا عندي شروط للزواج منو)
ويش هي ؟
(حنه عندنا الخطبة خمس سنوات وبعدها يعقد الزواج ويظل سنة ويتزوج الشخص)
(انا اكول لولدي الشيخ انجان يرض بهاي الشروط)
نظرت الى المرأة طويلاً وتمنت ان يوافق الشيخ ثار على شروطها هذه التي تعطيها فترة انتظار لزوجها ليفتش عنها
خبرت ام ثار ابنها بشروط هذه الفتاة وقبلها قائلاً (من حقها يمه تنتظر زوجها ونما جا بهاي الفترة هي تكطع الياس منو
وتصير عندها قناعة بالزواج مني)
(بكيفك يولدي انت الشيخ والأمر عندك)
اما زوجها عندما عاد وأخبرته امه بالذي حدث أمسك سلاحه وركب فرسه واخذ يطوف في العربان يفتش عن زوجته وسمية.
يغيب عن ديرته فترة ثم يعود وطول ثلاث سنوات اصابه اشبه بمس من الجنون فأصبحت ملابسه رثة اشعث الرأس ما سك الربابه بيده ويدور في الديار البعيدة والتي لم يمر بها سابقاً ،وتنقضي الفترة وشاء الله ان يصل الى هذه الديار فيجد الاستعدادات جارية لزفاف الشيخ على هذه الفتاة فيسأل، لم يحصل على جواب سوى فتاة غريبة جاء بها الشيخ من ديار بعيدة ، وينتظر ساعة الدخلة وينهض الشيخ ويذهب إلى (حوفته) ويذهب خلفه وعندما يدخل على زوجته يبدأ حزام يلاعب ربابته فينتبه الشيخ الى شعره الذي يقول :-
يازين يوم كلوبنا صافياتي
ماطعت عذال وارخصت بيك يوم
واجابته وسمية :-
مانبغي غيرو لوعطوني الملك كله
ياثار هذا حزام زين الصفاتي
نهض الشيخ ثار وجاء الى حزام وقاده من يده ونادى على رجاله ان يحلقوا له رأسه وذقنه ويغسلوا له ويعطوه ملابس جديدة
فأخذوه وأكملوا ما اراد الشيخ منهم وجاءوا به الى المضيف فرافقه الشيخ الى زوجته بعد ان طلقها وهو غير داخل فيها وقضى حزام ليلته مع زوجته وفي الصباح جاء الى المضيف وسلم على الشيخ والحاضرين واجلسه الشيخ بجانبه وبعد ان شرب القهوة
قال :- (ياشيخ ثار ماسويت الا الجميل وكيف اردلك هذا الجميل ؟ لكن حنه نريد تكمل جميلك وتساعدني على رد حلالي)
قال :-(انا حا ضر وين تظن حلالك ؟.)
قال حزام - (عندكم ياشيخ)
(عندنا هان؟)
(نعم عندكم هان)
(ولياك يوبه ؟)
(الدليل عند زوجتي، هي اجرحت واحد من اللصوص وسمعتهم يكولون باجر شيكول عنا الشيخ ثار)
قال الشيخ ثار :- (هاذا حك انجان صحيح)
ونادى على جميع القوم ان يحضروا فحضر القوم ووقفوا في ساحة المضيف وقال لهم الجميع يكشف عن كتفه الأيمن فكشف الجميع عن اكتافهم وجيء بوسمية وبدأت تنظر الى الأكتاف ووصلت الى الوسط واشرت على احدهم فأخرجوه من الصف وجيء به الى المضيف فاعترف بذنبه ومن معه.
قا ل الشيخ:- (اولاً: ترجعون الحلال بكامله –ثانياً: تدفعون ثلثه بعد غرامة لأعتدائكم على الحرمه وعلى الحلال- ثالثاً: تنفصلون من العشيرة وترحلون حالاً من الديرة)
رد عليه حزام :- (يشيخ بيضهه الله بوجهك انا ماريد شي غير حلالي عندي خير...
قال الشيخ ثار :(هذا حكم العشيرة)
(بلا حكم العشيرة ولكن انا حكي وتنازل عنو)
قال الشيخ :- (لك الحق تاخذهه يو تتنازل عنها)
جمعوا الحلال وودع حزام الشيخ بعد ان قدم الشيخ عشرين رأساً من الغنم وهديا اخرى الى حزام وزوجته ، هي ودعت النساء
وارسل معهم رجال اوصلوهم الى حدود ديارهم ، وصل حزام وزوجته الى هناك واستقبلوهم بالهلاهل والأهازيج ونحرت الذبائح
واقيمت الأفراح وبعد انتهاء المراسيم وفي الليلة الثانية ذهب حزام الى فراش امه وبعد ان سلم عليها قدم لها هدية قطعة قماش.
وقال لها :- (يمه ادري باللي صار اسحكيه ابجدمج وادري ليش سويتيه لأنك تحبيني وتخافين علي يمة محد ياخذني منج حب الزوجه غير وحب الأم غير يمكن الزوجة تتبدل وتجي غيرها لجن الأم ماتتبدل وتصير غيرهه ،يمه انا راضي عليك شما سويتي بيه وزوجتي راضيه بس حن نخاف عليك من غضب رب العالمين وانت سوين شي وعتقدين هو صح وهو فيه مخافة لرب العالمي:- ارضي علينا الله يرض عليك يمه)
قالت (انا راضيه عليك وعلى زوجتك وبعد ما كول اللي يغضب رب العالمين)